آداب التواصل قراءة تداولية

م.د.حليم موسى كاظم
معهد الفنون الجميلة في الديوانية للبنين
المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية
البريد الالكتروني haleemmusa65@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/٧/١٥
تاريخ القبول: ٢٠٢١/٨/٣

الملخص

إنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل؛ غير أنّ التواصل المطلوب لا يقوم على صيغ وجمل وتراكيب معيّنة، فاللغة مؤسسة اجتماعية تستجيب لمطالب المجتمع، وتراعي عاداته وتقاليده واعتقاداته. ومن ثمّ فإنّ عملية التواصل لا تلقى جزافا، فهناك معايير وضعها المجتمع وعلى اللغة أن تستجيب لها. ومن هنا كان الأمر بالنسبة للتداول اللساني يتعلّق بوضع معايير القبول، أو عدمه، لغرض إجازة الخطاب، أو ردّه.

التواصل –إذا- مشروط بصدق الخطاب، ومراعاة الأخلاق السائدة والمقبول وغير المقبول منها. ففي التواصل تظهر ثقافة المجتمع وطبيعته ومدى تحقق سلوكه الحضاري عند استعمالها، وقدرتها على تمثل التجارب الإنسانية من نواح عدة؛ في التأدب والتلطف والكياسة والنأي بالخطاب بعيدا عن المحظورات التي يمجها المجتمع ويأنف منها المتخاطبون.

إنّ هدف البحث في هذا الموضوع، بوصفه مبحثا تداوليا، هو إظهار العناية بالجانب التهذيبي للخطاب الذي نبّه إليه (بول غرايس) في مبدأ التعاون. ثم أخذت البحوث والدراسات تشق طريقها في هذا المجال، على النحو الذي نجده في مبادئ التأدب التي قدّمها باحثون مختلفون. وكان التركيز في هذا المجال يدور حول المحظورات المؤثرة في الخطاب وطرائق المتلقين في معالجتها بأساليب مختلفة.

ويعدّ هذا الموضوع مبحثا أصيلا في القرآن الكريم غطى عبر آيات كثيرات أكثر من جانب من جوانب قواعد التأدب في الخطاب. فضلا عمّا موجود في التراث العربي، وما نجده مبثوثا في كتب العلماء بمختلف توجهاتها، وقد لامسوا في ذلك صلب الموضوع المطروح الذي يتحدث عنه اليوم الباحثون الغربيون والمحدثون العرب.

الكلمات المفاتيح: التلطف – المحظور – التهذيبي – التواصل – المعاني المكروهة – الكناية- مبدأ التأدب.

The Ethics of Communication: A pragmatic Reading

Instructor Haleem Mousa Kadhim (Ph.D)
Institute of Fine Arts in Diwaniyha

Abstract

The main function of language is communication, but it does not depend on forms, sentences, or certain sructures. Language is a social establishment that responds to the needs Of the society and cares for its habits and traditions. This proves that communication does not happen accidentally because there are principles that are put by society, to which language has to respond. As a result, pragmatism is considered with establishing principles Of acceptance to allow speech or refuse it.Communication, then, is coditioned by truthfulness, ethics. and the care for what is accepted between the speaker and the listner. Through communication, the culture and nature of any society appears. The aim of this research is to show pragmatically the concern with politeness in speech,which has been established by Paul Grice in his principle of cooperation that paved the way for many studies in this field. There are different principles of politness that are introduced by different researchers. The main concern was with what is prohibited and how the listners deal with them using different techniques. This topic is original in Quran and there are many references to it in many verses that concentrate on politeness in communication. The ethics of speech are also present in the Arabic heritage and in the books of scientists in its different topics. Through these evidences they come nearer to modern western and Arabic linguists.

Key words: pragmatism, comuincation, acceptance, Quran, Arabic heritage

أولا، مدخل:

تعنى التداولية بالجوانب اللغوية التي ينبغي أن تكون مقبولة في سياقاتها التخاطبية؛ بمعنى أنّ التداولية تعنى بإنتاج خطاب يتصف بالقبول والجواز من جانب المتلقين، ومن ثمّ كان الأمر بالنسبة للتداولية يتعلّق بوضع معايير القبول والتقبل في هذا المجال.

اللغة مؤسسة اجتماعية من وظائفها التواصل؛ غير أنّه تواصل مشروط بمراعاة العرف في المجتمع اللغوي المعيّن، كالمنزلة الاجتماعية، والنزاهة وصدق الخطاب. والمعرفة اللغوية ليست معرفة أصوات وتراكيب؛ بل ثقافة وآداب وسلوك حضاري، وتمثّل للتجارب الإنسانية. وفي ضوء ذلك قُدّمت نظريات كثيرة في التأدب والتهذيب والكياسة والتلطف، والمحافظة على ماء الوجه، إلى غير ذلك ممّا يلامس أخلاقيات التواصل وآدابه(١).

إنّ اللغة حتما تستجيب للعرف والقواعد الاجتماعية في المواقف المختلفة. يقال:إنّ رجلا من بني العباس، زار، مع حاشيته، امرأة فقيرة في بيتها؛ فسألها: ما حاجتُك؟ فأجابت بأدب وكياسة لا يخلوان من خجل: (أشكو إليك قلة الفئران في بيتي!) فقال لمن معه: املؤوا بيتها قمحا(٢)! نلحظ أنّ المرأة لجأت إلى الإجابة غير المباشرة ليس ترفا في الفصاحة؛ مع أنها أجابت بفصاحة عالية؛ لكنّ الموقف اللغوي اقتضى أن تستجيب المرأة للعرف الاجتماعي؛ فوظّفت اللغة لذلك، ومع أنّها كانت في غاية التأدب والكياسة؛ إلا أنّها في الوقت نفسة في منتهى الخجل، فأضمرت الإجابة؛ لأنّها تفهم تماما أنّ السؤال يُهدد ماء وجهها أكثر ممّا لو كانت الإجابة مباشرة. ومن هنا نفهم أنّ اللغة تتناغم مع الوسط الاجتماعي، فمعاييرها في آداب القول والذوق وحسن التعامل، راسخة في هذا الوسط.

فالأداء اللغوي يرتبط بالبيئة، ومن ثمّ لابدّ من مراعاة القبول الاجتماعي من عدمه، فهناك معايير تتدخل في تحديد نوع الخطاب وصيغته، أي الأبعاد التي يحددها المعيار الاجتماعي في ما يتعلّق بإجازة الخطاب أو ردّه. فنحن –مثلا- نخاطب الغريب بأسلوب يختلف عن أسلوب خطاب الصديق، وصاحب المنزلة الأعلى بأسلوب لا نخاطب به الإنسان العادي، وكذا الفرق بين خطاب الصغير والكبير. وهذه الأبعاد تقف عندها المقاربة الاجتماعية عند تحليل آداب التخطاب(٣).

إنّ التأدب والكياسة والتهذيب؛ تعد فروعا رئيسة في النظرية التداولية، فهي من متطلبات البحث في التداولية، بوصفها سلوكا مرغوبا به، ومحترما تجاه الآخر، وهو أفضل بالقياس إلى سلوك آخر مغاير(٤). ((وذلك أنّ متطلبات الكياسة أو التأدب في المخاطبات المألوفة تجعلها ثقيلة ومحيّرة في إنتاج جمل أمرية بسيطة (مثل: اترك الغرفة، أو أدائيات صريحة (مثل: آمرك أن تترك الغرفة). من ثمّ يسعى الناس إلى إيجاد وسائل غير مباشرة لأداء أفعالهم الإنجازية))(٥). وقد عنيت الدراسات اللسانية كثيرا بآداب التواصل، بوصفه جزءا من السلوك اللغوي؛ وبخاصة التداولية التي قدّمت في هذا المجال كثيرا من الدراسات والبحوث في التأدب والكياسة والوجاهة، فاللغة من وجهة نظر تداولية((هي فعل تواصلي يتحقق في موقف سياقي))(٦)الأمر الذي يعدّ تطورا واضحا في اللسانيات التي تعنى باشتغال الآداب في عمليات التواصل؛ وهو الجانب الذي أعلت من شأنه الدراسات التداولية في الآونة الأخيرة(٧).

والهدف من العناية بآداب التواصل هو منح المتواصلين حرية التعبير عن آرائهم بعيدا عن القمع، أو فرض الآراء، لكن الهدف الأساس تأمين قيم المتحاورين، بما يخدم الإنسجام بين الأطراف، من خلال تقديم خطاب في جوٍّ من التلطف والتأدب والتهذيب، وحظر كل ما هو خلاف ذلك، وهذا الأمر ينسحب على انسيابية عملية التواصل ونجاحها واستمرارها(٨).

ولا يقتصر الأمر في تناول هذه الموضوعات على الدراسات اللغوية الحديثة؛ فكثير منها نجده في القرآن الكريم، فالموضوعات المُتناولة غطت جوانب مختلفة من جوانب الحياة، منها: التلطف في التعبير، والكناية وتحسين اللفظ... وغير ذلك كثير. وأجمل ما عبّر عنه القرآن الكريم قوله تعالى: **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]**

وفضلا عمّا جاء في القرآن الكريم، وهو كثير جدا، سنتناول جزءا منه لاحقا؛ فقد غطت المصادر العربية القديمة مساحة واسعة من هذه الموضوعات؛ بل وخصصت كتبا وأبوابا ومباحث في هذا المجال، على النحو الذي نجده في موضوعات مثل: الكناية والتعريض والتورية وأسلوب الحكيم وتحسين اللفظ، إلى غير ذلك من الأبواب التي تعدّ من موضوعات التأدب(٩)، وكانوا يهدفون من ذلك مراعاة المشاعر والذوق والآداب العامة(١٠).

إنّ المجتمع يحاول أن يصنع لنفسه لغة مؤدبة قادرة على تعطيل إيحاءات ألفاظ (اللامساس- أو الحظر Taboo)بتعبيرات أكثر قبولا واستساغة عن حاجات وأشياء كثيرة تعد جزءا من حياة الإنسان لا يستطيع أن يتخلى عنها مهما فعل، لكنّه يحاول أن يخفف من أثرها(١١).

ثانيا: (مبادئ التأدب والوجاهة)

قدّم العلماء والباحثون في التداولية جهودا غير قليلة في مجال البحوث التي تعنى بآداب التواصل، سواء ما تعلّق منه بتقديم مقترحات أم في تقديم نظريات وبحوث في هذا المجال، كتلك التي قدّمها (بول غرايس) في نظريته في المحادثة من خلال تقديم ما سمّاه (مبدأ التعاون) والقواعد المتفرعة عنه(١٢). تناول في هذا المجال بعض القضايا، وإن بشكل ضيق، التي تتعلّق بآداب التواصل كالصدق والإخلاص. وتبدو ظاهرة التأدب عند (غرايس) عندما تُنتهك قاعدة من قواعد التعاون، ويسميه(التباس

قصدي) والغاية منه، هي تفادي التزام معيّن أو إحراج أو جرح شعور، أو تعارض بين قاعدتين، والسامع يدرك ذلك اعتمادا على مراعاة معطيات لغوية وغير لغوية منها المدلولات الحقيقية للألفاظ المستعملة ومبدأ التعاون والقواعد المندرجة تحته والمقام إلى غير ذلك(١٣).

مثال: إذا سأل (محمد) صديقه(عليا): أين يقطن حسين؟ وأجابه: (في مكان ما في البصرة)، فإنّ إجابته فيها خرق لمبدأ (الكم) في إعطاء المعلومات الكافية، ومن هنا يمكن لـ(محمد) أن يستدل على أنّ (عليا) لا يعرف على وجه التحديد أين يسكن (حسين)، وإنّما لو أعطى السائل جوابا لا يخرق فيه مبدأ الكمية، لاضطر أن يخرق قاعدة (الكيف) التي تقول: (لا تقل ما تعتقد أنّه غير صادق). وعلى هذا النحو يفسر غرايس طرافة استغلال القواعد، وما ينشأ عنها(١٤).

ويقترح(سورل)أنّ تضاف مقامات التأدب على قوانين التخاطب التي وضعها(غرايس)من أجل الإفادة من منها لدعم آداب الحوار، من أجل تجاوز بعض الألفاظ التي تحمل معاني أمرية ينفر منها المتخاطبون، أو التي تتنافي وأدبيات التخاطب، من نحو:(آمرُك بالتوقف)أو(توقف) مما يطغى عليها طابع العنف والإجبار. لذلك يمكن الاستعاضة عن هذه التعبيرات المباشرة بأخرى غير مباشرة ومهذبة من نحو: لو تتفضل بالتوقف، ولو تكرمت علينا. ومن ثمّ فإنّ نظرية التأدب والخطاب المهذب في الحوار، تعد سببا كافيا لتبرير الإبلاغ بالمعنى غير المباشر، وهذا الأمر مدعاة للجوء إلى الخطابات غير الحرفية(١٥).

لم يشكّل عمل (غرايس) في هذا المجال جهدا واضحا؛ لكنّه نبه الآخرين إلى الخوض في هذا المجال، وقد وُجّه لمبدأ التعاون نقدا كثيرا، منها، أنّ (غرايس) لم يضبط في هذا المبدأ الجانب التهذيبي، ولم يعطه حقه بالبحث(١٦). إذ يؤكد من جاء بعد غرايس على أنّ الموضوعية تقتضي ألا تقتصر قواعد التخاطب على الجانب التبليغي للخطاب، فهناك جانب تهذيبي يتمثل في قواعد التخاطب التي تقوم على أساس أخلاقي، وغاية هذا الجانب المحافظة على ماء وجه المتخاطبين في أثناء الحوار، ولعلّ نظرية (براون و وليفينسون) خير مثال لقواعد التأدب في نظرية (ماء الوجه) (١٧).

مبدأ التأدب (روبين لاكوف):

يعدّ مبدأ التأدب الذي قدّمته (روبين لاكوف) أوّل طرح في التداولية الغربية، فهي تنظر إلى الخطاب بوصفه طائرا بجناحين، هما: **الوضوح والتأدب**. ومن هنا طوّرت طرحها في فكرة التأدب. يقوم هذا المبدأ عندها على ثلاث قواعد أساسية هي: **لا تفرض نفسك على الآخرين، اترك لغيرك الحرية، اترك الآخرين يشعرون بالارتياح**. فكان لهذه الباحثة فضل السبق في هذا المجال(١٨).

صاغت(روبين لاكوف) هذا المبدأ بعبارة: **(لتكن مؤدبا)**. وهو مدخل واضح لضبط الجانب التهذيبي في الخطاب من خلال عبارة أمرية، فيها حثّ للتعاون بين المتكلّم والمتلقي؛ لأجل تحقيق تواصل فعّال، وهو ليس أقلّ من ضبط الجانب التبليغي الذي عني به (غرايس). وفرّعت (لاكوف) هذا المبدأ على ثلاث قواعد تهذيبية، هي(١٩):

١- قاعدة التعفف، ومقتضاها: لا تفرض نفسك على المخاطب.

٢- قاعدة التشكك، ومقتضاها: لتجعل المخاطب يختار بنفسه.

٣- قاعدة التودد. ومقتضاها، لتُظهر الود للمتلقي.

هذه القواعد موجهة إلى المتكلّم، تدعوه إلى مراعاة جانب التهذيب في خطابه إلى المتلقي، وتوجب عليه أن يحافظ على المسافة بينهما، من خلال تجنب استعمال عبارات معيّنة تخلّ بهذه المسافة. فضلا عن دعوته إلى استعمال أسلوب التقرير في خطابه، بما يعزز ثقة المتلقي بنفسه؛ ولذلك تشير القاعدة الثالثة (التودد) إلى حث المتكلّم إلى معاملة المتلقي بوصفه ندا ومعادلا له في المرتبة، حتى يطمئن المتلقي ويندفع إلى التعاون في إنجاز الخطاب والتفاعل معه(٢٠).

والتودد نوع من التقرب القائم على التأدب، بما يفضي إلى تكوين صداقات متينة وعلاقات يسودها التعاون والاحترام، وهذا الأمر ينسحب على الخطاب فيجعله واضحا سليما معبرا عن قيمة التعاون، وهو ما أرادته روبين لاكوف(٢١).

((ويعد هذا المبدأ سلوكا تخاطبيا تحكمه الأعراف، والقواعد الاجتماعية وهي تختلف من شخص إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، فمبدأ التأدب مبدأ اجتماعي أخلاقي قبل أن يكون نمطا لغويا محددا، فقد تستعمل بيئة لغوية أسلوبا تخاطبيا لا تستعمله بيئة أخرى مع وحدة الظروف بينهما))(٢٢). وقد تحقق لـ(لاكوف) ما أرادت في إعطاء الجانب التهذيبي مساحة وعناية لا تقل عن ذلك في الجانب التبليغي.

مبدأ التأدب الأقصى(جيوفري ليتش):

هذا المبدأ على نحو ما يؤكد (جيوفري ليتش)مكمل لمبدأ التعاون، من ناحية العناية بالجانب التهذيبي الذي لم يعن به غرايس. صاغ (ليتش) هذا المبدأ في صورتين اثنتين:

أ-سلبية، توجب تقليل الكلام غير المؤدب.

ب- وإيجابية، توجب الإكثار من الكلام المؤدب.

وقدم تفريعا لهاتين القاعدتين، معززا الجانب التهذيبي في هذا المبدأ مع عنايته بالجانب التبليغي؛ مؤكدا على جوانب تهذيبية مختلفة من نحو: اللياقة والسخاء والتواضع والتوافق والعاطفة. فضلا عن تفصيلات أخرى تعنى بآداب التواصل(٢٣).

وعقد فصلا في كتابه (مبادئ التداولية) سمّاه بـــ(قاعدة فن التخلق واللياقة)(٢٤)، واللياقة أحد أنواع حسن الأدب والتخلق(٢٥)، فمنّ دواعي حسن الأدب بين المتكلّم والمتلقي، أنّه يعمل على توطيد العلاقة بيهما، بما يخدم طبيعة التواصل وإيجابيته واستمراره. وبخلاف ذلك فإنّ عدم التأدب تجاه المخاطب((دال على خشونة التصرف أزاء المخاطب، من أجل أن ينسب إليه

بعض الجهد والقلق والخسران...))[٢٦]، بما لا يخدم عملية التواصل، بل وينمي الصورة السلبية التي ذكرها ليتش، وتوجب تقليل الكلام غير المؤدب.

ويؤكد(جيوفري ليتش)إنّ درجة التأدب نسبية تختلف من بلد إلى آخر، بل في داخل البلد الواحد تختلف، ففي اليابان مثلا، هناك سلّم للتأدب، وهو يؤشر اختلافات في هذا المجال من جهة إلى أخرى داخل البلد نفسها، ووفقا لمعايير معيّنة يحكم على الأشخاص بأنّهم مؤدبين أو خلاف ذلك[٢٧].

وفي ضوء ذلك، وبشكل أساس، يخضع مبدأ التأدب عند (ليتش) للسلطة الاجتماعية في تحديد أساليب الحوار المتأدب[٢٨].

مبدأ التأدب والوجاهة(براون و ويلفنسون):

ويطلق عليه أحيانا (مبدأ التواجه)أو(مقابلة الوجه للوجه). يعود هذا المبدأ إلى الباحثين(براون- وليفنسون) في الدراسة التي قدماها في (ظاهرة التأدب). قدّم الباحثان لهذا المبدأ صياغة تقوم على: **لتصن وجه غيرك**. وينبني هذا المبدأ على قاعدتين، هما، (**الوجه/ التهديد**).

أمّا **الوجه**: فهو كناية عن الذات التي يدّعيها المرء لنفسه، وبها يريد أن يعزز قيمته الاجتماعية. والوجه هنا على ضربين اثنين: وجه دافع (**سلبي**)، وآخر جالب (**إيجابي**). ويريد بالوجه الدافع أو (**السلبي**) ألا يعترض أحدٌ على سلوكه، أي دفع الاعتراض. ويراد بالوجه الآخر جلب الاعتراف، أي اعتراف الآخر بأفعاله. والمجال الذي يعمل فيه هذان الوجهان هو التخاطب بين المتكلّم والمتلقي، ويسعى فيه كلٌ منهما إلى حفظ ماء وجه الآخر[٢٩].

وبين التوافق الذي يبديه ذو الوجه الإيجابي مع الآخرين، وذو الوجه السلبي الذي يتطلب إعطاءه نوعا من الحرية، وعدم فرض رغبات الآخرين عليه؛ يكون صاحب الوجه محميا من التهديد، أو محافظا على ماء وجهه غير مراق[٣٠].

والشيء الأساس الذي ينبغي على المتواصلين التقيّد به، هو القبول ضمنا بفكرة عدم السماح لإراقة ماء وجه كلّ منهما، من جانب بعض الأفعال الإنجازية المهددة لوجهيهما بوصفهما متكلما يتعرّض ماء وجهه لخطر الإراقة من جراء السؤال والرجاء والالتماس والدعاء. أو متلقيا يتعرّض وجهه لخطر الإراقة أيضا، لكن من جراء التهيد والأمر والنهي والزجر... ومن أجل تفادي هذه المخاطر يلجأ المتكلّم إلى تبني أسلوب ضمني لأجل المحافظة على ماء وجهه، أو محاولة التلطف من أجل تذليل أثر الأفعال المُهددة للوجه[٣١].

مثال: يقال: إنّ هارون العباسي قد رأى ذات مرة في مكان ما في بيته حزمة من (الخيزران)، فسأل وزيره (الفضل بن الربيع) وكان معه: ما هذه؟ فأجابه الوزير: عروق الرماح يا أمير المؤمنين! ولم يقل له: إنّها الخيزران! لأنّ أم هارون كان اسمها (الخيزران)! فالوزير يعرف مَنزلة مُخاطِبَه؛ ولذلك أجابه بلطف وأدب، محافظا على ماء وجهه من الإراقة. مثل هذا الجواب لم يدع للخطاب تصعيدا سلبيا، ربّما تتخلله إنحرافات على مستوى آخر لا يخلو من مخاطر.

ولذلك قيل في قواعد اللياقة التي تفضي إلى تنظيم أسلوب التخاطب بين المتكلّم والمتلقي:((حافظ جهد المستطاع على ماء الوجه السلبي والإيجابي للمتخاطبين: أمّا الوجه السلبي للمخاطب فتستطيع المحافظة عليه بأنّ لا توجه إليه أوامر عنيفة أو تلزمه بمطالب طائشة. وأمّا الوجه الإيجابي، فتستطيع المحافظة عليه بأن لا تقول للمخاطب أشياء فظّة أو مجافية أو أن تسخر منه؛ لأنّ من العيب أن نقول العيب للآخرين))[٣٢].

مبدأ التصديق(د.طه عبد الرحمن):

وبدوره قدّم الدكتور (طه عبد الرحمن) مشروعه في هذا المجال، أطلق عليه (مبدأ التصديق). يقوم هذا المبدأ على جانبين: الجانب التبليغي من الخطاب، والجانب التهذيبي منه، وكان هدفه الموازنة بين الجانبين، بما يؤكد أهميتهما على حد سواء[٣٣].

أمّا القواعد المتفرعة عن هذا المبدأ، فيؤكد (د.طه) على أنّه اعتمد في ذلك على ما وجده عند (أبي الحسن الماوردي ت٤٥٠ه) في كتابه(أدب الدنيا والدين) من قواعد منسجمة مع مبدأ التصديق، ومعبرة عن الجانب التبليغي فيه. وهي[٣٤]:

-أن يكون الخطاب استجابة لدعوة في الحصول على نفع، أو في دفع ضرر.

-أن يكون الخطاب جاريا مجرى السياق الذي يرد فيه، ومحققا لهدفه.

- أن ينجز الخطاب على القدر المطلوب.

- أن يسعى المتكلّم إلى اختيار العبارة المناسبة.

هذه القواعد قد روعي فيها الجانب التبليغي للخطاب؛ على غرار مبدأ التعاون عند غرايس، على نحو ما يذكر(الدكتور طه عبد الرحمن) باستثناء قاعدة الكيف. أمّا الجانب التهذيبي فهناك قواعد خاصة صاغها، مراعيا فيها آداب التواصل، على غرار ما ورد عن (روبين لاكوف) في مبدأ التأدب، ومبدأ الوجه عند براون وليفينسون، مع مراعاة عدم الوقوع بما وقعت به من قصور، من خلال الموازنة بين جانبي التبليغ والتهذيب[٣٥].

ويؤكد بعض الباحثين، أنّ هناك قواعد عامة ينبغي مراعاتها، ربّما لم تُذكر عند هؤلاء الذين قدّموا نماذج في مبادئ التأدب أثناء التخاطب؛ من بينها (مبدأ التواضع) الذي يحظر على المخاطِب أن يمجدَ نفسه أو أن يعظمها، ومن ثمّ فإنّ تحسين صورته تكمن في تقبل الآخرين أو تقديرهم، لا من خلال مدح المتكلّم لنفسه، فعدم التواضع أثناء مخاطبة المتلقي تعني فقدان التأدب. ويبدو مدح الآخر أقلّ ضررا من مدح الذات وربّما كان انتقاص المتكلّم من شأنه أقل ضررا وخطورة ممّا يفعل اتجاه المتلقي. إنّ المحافظة على ماء وجه المخاطب لا تعني المبالغة في مدحه أو تفخيمه، ومن ثمّ فإنّ هذا الأمر يهدد الوجه السلبي للمخاطب ويضعه في مأزق التحرج، وهو أمر خلاف قواعد التواضع، ويتنافى وقواعد اللياقة التي تشير إلى أنّ مصالح المتلقي تسبق مصلحة الذات[٣٦].

ثالثا: الحظر، والتلطف:

١- الحظر ،(مفهومه، ومصادره):

يلجأ بعض المتكلمين إلى فرض (حظر) على بعض الألفاظ والعبارات التي يأنف منها المجتمع والذوق العام، فلا يحسن التعبير عنها بصراحة. يقول الدكتور أحمد مختار عمر:((توجد في بعض اللّغات حساسيّة نحوّ ألفاظ معيّنة ربما ارتبطت ببعض المعاني التي لا يحسن التعبير عنها بصراحة. ولذا تتجنّبها وتستعمل بدلها ألفاظاً أُخرى أقلّ صراحة، ويوصَف اللّفظ المتروك أو المقيّد الاستخدام بأنَّه من ألفاظ (اللاّمساس) taboo ، ويوصف اللّفظ المفضّل بأنّه من باب التلطُّف في التعبير euphemism))[٣٧]. ويوصف اللفظ بأنّه من ألفاظ (اللامساس taboo) لأنّه يحول دون التلفظ بألفاظ تخدش حياء المتلقي أو تتنافى مع الذوق العام، أو التلفظ بها لا يتناسب وبعض المواقف أو المقامات الاجتماعية أو السياسية أو الدينية أو الجنسية أو الأخلاقية[٣٨].

إنّ الألفاظ التي تتعرض إلى الحظر يتجنبها المتواصلون بطرائق عدة، منها: بعدم التصريح بها مباشرة، أو بتركها والمجيء بغيرها، إلى غير ذلك؛ غير أنّ الحظر لم يتوقف، فاللفظ البديل سرعان ما يتشبع بالمعنى المحظور فيلجأ المتكلمون إلى حظره من جديد...وهكذا. يقول أبو حيّان التوحيدي (ت٤١٤ه): ((حدثني ابن فارس: جرى بين يديه أسماء (الفَرْج) وكثرتها. فقال بعض الحاضرين: ماذا أرادت العرب بتكثيرها مع قبحها؟ فقال: لمّا رأوا الشيء قبيحا جعلوا يكنون عنه، وكانت الكناية عند فُشوِّها تصير إلى حدّ الاسم الأوّل، فينقلونه إلى كناية أخرى، فإذا اتسعت أيضا رأوا فيها من القبيح مثل ما كنّوا عنه من أجله، وعلى هذا فكثرت الكنايات، وليس غرضهم تكثيرها))[٣٩].

فإبدال اللفظ المكروه باستمرار يؤدي حتما إلى تعدد الألفاظ القبيحة، ومن ثمّ فإنّ حظرها ليس بسبب بنيتها الصوتية أو الصرفية، بل بسبب شيوعه وتشبعه بالمعاني غير المرادة، فيصير في ما بعد محظورا[٤٠]. وهو ما نجده في مجالات عدة قريبة إلى حياتنا اليومية.

إنّ بعض الناس يخافون بعض القضايا ويتطيّرون منها، حتى من إيحاءات بعض الكلمات، وهذا الأمر ليس جديدا، بل هو موجود عند بعض الناس في المجتمعات البدائية القديمة، وحتى في بعض المجتمعات الحديثة، وليس هناك سبب سوى الاعتقادات التي فرضها المجتمع.

ومن أجل التخلص من هذه الظواهر يلجأون إلى حظرها في سلوكهم اللغوي وهم يمارسون حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، من خلال اللجوء إلى حيل كثيرة للتخلص من هذه المحظورات، وهي كثيرة، مثل: ألفاظ الموت والأمراض والكوارث التي يكنون عنها بألفاظ حسنة لا تحمل إيحاءات مكروهة أو ما شاكل. فضلا عمّا كان يستعمله العرب من باب التفاؤل والتأدب في عملية التخاطب[٤١].

إنّ ممارسة ظاهرة الحظر الذي نشهده دائما في مجالات كثيرة؛ إنّما يمثّل استجابة اللغة لمطلب اجتماعي ونفسي وذوقي وأخلاقي، فالمعايير الاجتماعية لها سلطة ضبط السلوك اللغوي في أثناء عملية التواصل، بالإجازة أو المنع[٤٢]. ((وممّا يجدر التنبيه إليه في هذا الموضع، أنّ المحظورات اللغوية تتوزع على مناطق متعددة، منها: الألفاظ الجنسية، ومنها مناطق أخرى، مثل: ألفاظ المرأة والموت والمرض والعوالم الخفية وقضاء الحاجة، ولأنّها ألفاظ لغوية اجتماعية انشغلت اللسانيات الاجتماعية بها بوصفها مظهرا للعلاقة بين اللغة والمجتمع والفكر والثقافة))[٤٣]، ولذلك فإنّ اللغة تمتثل لعادات المجتمع وتقاليده، فهي الحامل لها، فتجيز ما يريده وتمنع ما هو خلاف ذلك، فاللغة أم تراعي مصالح أبنائها، كما أنّها تدفع بعاداتها إلى الأجيال جيلا بعد جيل[٤٤].

٢- التلطف،(المفهوم والمجال):

مفهوم التلطف:

يرتبط مفهوم التلطف بمجالات استعماله، وهي كثيرة منها، التلطف بالكناية، وبالمداراة، وبالإضمار، وبالعدول، وباللين وتحسين اللفظ، وهكذا. فكلّما أردنا حظر معنى معيّن لجأنا إلى الكناية عنه بمعنى لطيف يخفي إيحاءات ذلك المعنى، وكذلك نفعل بالمداراة وبالإضمار وبالعدول وباللين وتحسين اللفظ، وهكذا. ويعرّف التلطف في التعبير بأنّه:((الرغبة في أداء تعبيري وافٍ بالمحرمات لقداسة أو لحرج التابو))[٤٥]. وهناك نظريات تبنت هذا المفهوم، أي (التلطف) وأدرجته ضمن نظرية (آداب المعاملة) التي وضعها (براون و ولفينسون) في مجال التداولية، وفحواه أنّه يقوم على الدعوة إلى الإنسجام أثناء عملية التخاطب مع المحافظة على ماء الوجه[٤٦].

مجالات التلطف:

- التلطف بالكناية:

الكناية((أن تتكلّم بالشيء وتريد غيره))[٤٧]. والكناية أبلغ من الإفصاح، لأنّها ذكر الشيء بوساطة لوازمه، وذكر الشيء مع دليله أوقع في النفوس وأمتع. كقولهم: (كثير الرماد) و(نؤوم الضحى)، كناية عن الكرم، والثانية كناية عن المرأة المخدومة. والكناية هنا تعمل في مجال ضيق، خلافا لما يُكنى عنه في باب التلطف والتأدب. فليس الناس كلهم كثيري الرماد، ولا النساء كلهنّ نؤومات الضحى. فالكناية المرادة هنا ما كانت تشكل ظاهرة عامة وتدخل في باب آداب التواصل[٤٨].

ومن روائع التلطف بالكناية عمّا يجري بين (الرجل والمرأة) في القرآن الكريم، ما نجده في قوله تعالى: **﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[النساء٢١]** وقوله: **﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَت حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف١٨٩]** وقوله: **﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة ١٨٧]** إلى غير ذلك ممّا جاء في القرآن الكريم، وهو كثير. وهناك ألفاظ وتعبيرات مكروهة لما فيها من ابتذال، ومنافاة للذوق، ويمجها المجتمع، كالألفاظ الجنسية وما يتعلّق بها. فيلجأ المتحادثون إلى حظر تلك الألفاظ، والتكنية عنها بألفاظ أخرى

بديلة لا تحمل تلك الإيحاءات. ولعلّ أحسن التكنيات في هذا المجال ما جاء في **القرآن الكريم** من ألفاظ كريمة مثل:(المباشرة، والملامسة، والرفث، والحرث)[٤٩]. كلّ ذلك مراعاة للذوق العام والاحتشام والتلطف في التعبير[٥٠].

وممّا ذكره ابن فارس (ت ٣٩٥ه) في هذا المجال أيضا، أنّ جانبا من جوانب الكناية غايتها تحسين اللفظ، كقوله تعالى:﴿**وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾**[البقرة٢٣٥]** كناية وتلطفا في التعبير. أو للتبجيل أو لإكرام الرجل نحو قولهم: (أبو فلان) صيانة لاسمه عن الابتذال[٥١].

وفي الكناية نأي عمّا يُستقبح ذكره تأدبا وحشمة وتلطفا. فمن لطيف الكنايات ما يذكره الثعالبي(ت ٤٢٩ه) في كتابه (الكناية والتعريض) في الكناية عن (عورة المرأة) وهو يستشهد بقول شاعر[٥٢]:

وإذا الكريمُ أضاع مطلبَ أنفه ... أو عِرسهِ، لكريهةٍ لم يغضبِ

يعلّق الثعالبي على هذا فيقول: ((انظر كيف تلطّف هذا الشاعر بحذقه للكناية عن (فَرْج) الأم بقوله: مطلبَ أنفهِ! وقد أراد الشاعر أن ينأى عن المعنى المباشر المكروه ذكره مباشرةً، وهو: أنّ الرجل متى لم يحمِ فَرْجَ أمّه وامرأته لم يغضب من شيء يؤتَ إليه بعد ذلك))[٥٣].

نلحظ هنا أنّ المتكلّم (الشاعر) نأى عن التصريح، فكنّى عن المعنى المحظور تلطفا وتأدبا في الخطاب، وتمشيا مع ما يقره الذوق والقبول الاجتماعي، وما لا يقرّه ويمجه. وإضمار المعنى أيضا يعد مجالا للتلّطف وتخفيف إيحاءات المعنى المكروه.

ومن الكنايات ما يعبّر به عن فكرة الموت((وهناك أفكار يعبّر عنها بالكناية؛ ومنها فكرة الموت...))[٥٤].

فهناك كثير من الناس يربطون بين الاسم والمسمى ربطا طبيعيا. ويرجع (الدكتور إبراهيم أنيس) سرّ هذه التكنية إلى ما استقر في ذهن الإنسان من أَنَّ اللّفظ هو المعنى والمعنى هو اللّفظ، فقال: ((وسرّ كل تلك التكنية أو التعمية هو ما استقر في ذهن الإنسان منذ القدم من الربط بين اللّفظ ومدلوله ربطاً وثيقاً، حتى إنّه يعتقد أَنّ مجرد ذكر الموت يستحضر الموت، وأَنَّ النطق بلفظ الحيّة يدعوها من جحرها... وقد سيطرت تلك العقيدة على عقول كثير من أبناء الأمم البدائية، حتى أصبحوا لا يفرقون بين الشيء واسمه، ويتصورون أَنَّ المرء يتكون من الجسم والروح والاسم))[٥٥].

ـ التلطف بالمداراة:

المداراة مصطلح إيجابي يشير إلى تخليص الخطاب من الإثار السلبية التي تتركها بعض الألفاظ ذات الدلالات غير المرادة، كما تشير إلى اللين والوداعة والكلام الطيب، وكلّ ذلك له تأثير على عملية التواصل، من دون تعقيدات[٥٦]. وتعرّف المداراة بأنّها((صورة من صور التعامل الدال على الحكمة، والموصل إلى المقصود، مع حفظ ما للداعي والمدعو من كرامة ومروءة))[٥٧].

وتعد المداراة مبحثا تداوليا، يراد به تحديد موضوعه الدقيق الذي يعنى بآداب التواصل. وقد عُدّت مبحثا تداوليا؛ نتيجة عنايتها بتوخي المتخاطبين التأدب في الإيحاءات المكروهة، والتلطف بحظرها والمجيء بألفاظ ذات معان لطيفة لا يأنف منها المتكلمون والمتلقون. وفضلا عن ذلك فإنّ المداراة تدفع بالمعاني المحظورة نحو الإخفاء وعدم التصريح بها، من أجل أن تقدم عملية تواصلية بعيدة عن كلّ ما يتعلّق بإراقة ماء وجه المتلقي وحمايته[٥٨]. ومن هنا فإنّ المداراة تعد مدخلا مهما لمفهوم التلطف، وتوخي المعاني الحادة والمنافية للذوق والآداب العامة.

ـالتلطف بإضمار المحظور

يعرف عن التداولية بأنّها المجال الذي أكثر ما يعنى بالخطاب غير المعلن، أو غير الصريح؛ وهناك أسباب كثيرة لهذا النوع من الخطاب، ولعلّ أكثر الأسباب وجاهة لاستعماله هو ما يتعلّق بآداب التواصل، والتلطف في التعبير والتأدب، وما يقتضي ذلك من إخفاء للمعنى[٥٩].

إنّ اللغة، على نحو ما ذكرنا سابقا، تستجيب لمتطلبات المجتمع، ومجالات أخرى أيضا، كالسياسة والدين والأخلاق، وهذه المجالات كثيرا ما تكون رقيبا على المتكلّم، أو على المتخاطبين بشكل عام أيضا؛ ولذلك يلجأ المتخاطبون إلى إضمار المعنى بسبب المحظورات التابو الذي تفرضه تلك المجالات، وهذا الأمر ينسحب على اللغة لأنّها تستجيب للمحظور[٦٠].

والمحتوى غير الصريح للخطاب لا يعني تضليل المتلقي، أو فرض سلطة الخطاب عليه فرضا، أو تقييده بسلوك خطابي معيّن دون غيره، فربّما يُفهم هذا الأمر من القوانين التي وضعها (غرايس) غير أنّه لم يقصد إلى ذلك؛ بل أراد في جانب منها ضبط سلوك المتخاطبين في ما يتعلّق بوجوه استقامتها الأخلاقية، ولذلك يُطلق عليها أحيانا (قواعد التهذيب)، وهذا المصطلح يشير صراحة إلى الجانب الأخلاقي في عمليتي الإرسال والتلقي[٦١].

((وليس معنى هذا أنّ الكلام اليومي خال من الانتقاد والتجريح والشتائم، ولكن المطلوب من المتكلم حتى في مثل هذه الحالات، حسب هذه القواعد، أن يفعل ذلك بحذر، وأن يلجأ إلى الطرق غير المباشرة في إبلاغ مقاصده))[٦٢]؛ فهذا الطريق أسلم من أجل تلافي بعض المحظورات والمعاني غير المقبولة.

ـالتلطف بالعدول عن اللفظ المحظور

إنّ الكلمات التي تحمل معاني غير مرغوب فيها، تستهلك بسبب كثرة استعمالها، وشيئا فشيئا تفقد قيمتها الاجتماعية بسبب هذه المعاني؛ وهذا بدوره يبعث على التجديد، فيلجأ المتكلّم إلى العدول عن هذا اللفظ والبحث عن لفظ آخر لا يحمل إيحاء المعنى في اللفظ السابق[٦٣].

ولذلك تجد الكلمات الدالة على التلطف تشكل قائمة طويلة؛ لأنّها تتبدّل باستمرار، فكلّما اقترن المعنى المحظور ذكره بكلمة من كلمات التلطف استبدل بآخر أقلّ تصريحا، فيتحوّل الأوّل إلى محظور(تابو) ويحلّ الثاني مكانه. وهكذا يستمر الوضع على هذا

الحال، كلّما ساء المعنى، استبدل لفظه بلفظ آخر، وهكذا يفعل المعنى المكروه فيستهلك الدوال واحدا بعد الآخر، حتى تظهر لنا قائمة من الألفاظ الدالة على المعنى نفسه (المحظور) كتلك التي تتعلّق بمكان قضاء الحاجة. نحو: غائط-خلا- مرحاض- حمّام- دورة مياه- صحيات... وهكذا[٦٤].

إنّ البلى الذي تتعرض له الألفاظ سببه ارتباطها بمعانٍ يأنف منها الذوق؛ فهي عوامل تعطيل لعملية التواصل بين المتخاطبين، لأنّهم يتحفظون عليها، وهذا التحفظ مصدره العوامل النفسية والاجتماعية، فهي التي تدفع باتجاه تجنب هذه الألفاظ، أو العدول عنها إلى أخرى. يقول الدكتور محمد المبارك:((إنَّ الآداب الاجتماعية والحياء والاشمئزاز والتفاؤل كلّها أسباب نفسية تدعو إلى تجنّب كثير من الألفاظ والعدول عنها إلى غيرها من الألفاظ التي يكنّى بها عن الأشياء التي يستحيي من ذكرها، أو يخاف أو يتشاءم من التلفّظ بأسمائها، وذلك كبعض أعضاء الإنسان وأفعاله، وبعض الأمراض والعاهات، وبعض أنواع الحيوان))[٦٥]. ومعنى ذلك أنَّ الكلمات التي تستبدل بداعي التلطّف هي وسائل مخففة وليست حلّا نهائياً، إذ سرعان ما تتلوّث الكلمات البديلة، وهذا هو السرّ في وجود عدد كبير من كلمات اللّطف، فكلمة (مرحاض) مثلاً كانت في الأصل من كلمات اللّطف، وتعني مكان الاغتسال[٦٦].

لقد تنوعت أسباب الحظر لبعض الألفاظ والعبارات؛ فأسبابها العامة كثيرة، منها نفسية واجتماعية وأخلاقية، فالخوف يعدّ مسوغا لحظر ألفاظ مثل الموت والأمراض، والتأدب والكياسة مسوغ لحظر العيوب الجسدية والعقلية، والخجل والاحتشام أيضا يبرران الحظر في الألفاظ الجنسية. وهناك حظر أو عدول عن الألفاظ والعبارات المتطيّر منها، كقولهم في المتوفى: انتقل إلى جوار ربه، تخفيفا وتلطفا. يضاف إلى ذلك التلطف مراعاة لوضع إنساني معيّن، كتلك العبارات التي توجه إلى خادم أو عامل لوضاعة حاله[٦٧].

ـالتلطف بلين الكلام، وتحسين اللفظ:

إنّ مراعاة آداب التخاطب، بتحسين اللفظ ولين الكلام، أشار إليها القرآن الكريم صراحة في مواضع كثيرة، وذلك بالدعوة إلى القول الليّن. نحو قوله تعالى:**﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى ۞ فقولا له قولا لينا ﴾ [طه ٤٣-٤٤]** ونحو قوله تعالى: **﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة٨٣]** وشواهد قرآنية أخرى كثيرة من هذا القبيل. ((والقول يكون حسنا وحكمة بقدر ما يعتني بأصول الكلام ويبتعد عن فضوله))[٦٨].

هذه الشواهد تؤكد عناية النصّ القرآني بقواعد التخاطب وآدابه من خلال تحسين اللفظ، إذ لا وجود للفظ فاحش مطلقا. يقول الرسول(ص): ((لا تُفحش في مجلسك لكي يحذروك بسوء خُلقك، ولا تناج مع رجل وأنت مع آخر))[٦٩]. هذا الكلام، ليس أيّ كلام، إنّه من الرسول (ص) صاحب الخلق العظيم، فهو يرسم لنا طريقا لحسن الخلق واتباع السلوك المفضي إلى الحوار الصادق البعيد عن مظانّ الشك وسوء الخلق؛ ممّا يضع عملية التخطاب في طريقها الصحيح.

ولأئمة أهل البيت (ع) كثير من الأقوال والحكم التي تتعاطى مع هذا الموضوع، وتأكيدهم على لين الكلام واختيار اللفظ الحسن والتسامح، والابتعاد عن إسماع الآخرين مالا يليق. قال الإمام زين العابدين(ع): ((أمّا حقّ جليسك: فأن تُلين له جانبك، وتنصفه في مجازاة اللفظ، وتنسى زلاته...ولا تسمعه إلا خيرا))[٧٠]. ويروى عن الإمام (جعفر الصادق ع) قوله:((التودد إلى الناس نصف العقل))[٧١]. وليس هناك أصدق قولا وأتمّ معنى ممّا قيل في النواحي كلّها في ما يتعلّق بآداب التواصل...

وممّا يحسب على التلطف استعمال ألفاظ لينة والابتعاد عمّا يوحي بالأمرة والتعالي، من نحو:(لا يُدخَّن هنا) و(بودي) و(من فضلك)... وصيغ أخرى مثل: (شكرا، أرجوك) وكثير من مثل هذه العبارات والألفاظ الحسنة التي يكثر تداولها في الحياة اليومية، فمن شأنها أن تسير بالخطاب نحو السهولة واليسر بعيدا عن التعقيدات التي تفرضها بعض الخطابات الجافة[٧٢].

وهناك اعتبارات اجتماعية لها وقع نفسي في المتلقين والسامعين، عندما يستعمل المتكلمون ألفاظا ظريفة وعبارات مؤدبة لطيفة بديلة عمّا يطرح، كقولهم للعطشان: ناهل، وللملدوغ: سليم، تفاؤلاً، وقد روعي في استعمال هذه الألفاظ الوضع النفسي للمخاطب، فضلاً عن شيء آخر هو تكريم هذا الشخص، فإطلاق لفظ (البصير) على الأعمى؛ هو تكريم وإحسان لهذا الشخص يعبّر عن أدب المجتمع وظرافته[٧٣]. ومن الاعتبارات الاجتماعية الأخرى أنّ العرب كانوا يطلقون أسماء خاصّة على عبيدهم وخدمهم من نحو: ياقوت، ومرجان، وجوهر[٧٤]. وإطلاق مثل هذه الأسماء له دوافع نفسية هي مراعاة الوضع النفسي للمخاطبين، ودوافع اجتماعية تتعلّق بتقاليد وأعراف المجتمع. ومن شأن هذا التأدب والتلطف في القول أن يثمر عن خطاب خالٍ من التجريح وسوء الخلق.

الخاتمة:

وأخيرا، يمكن إجمال النتائج التي توصل إليها البحث، على الشكل الآتي:

١- لا يقتصر البحث في آداب التواصل، على المحظورات التي ينفر منها الناس؛ بل هناك توجّه إلى مراعاة الجانب الإنساني أثناء عملية التواصل، من نحو: الظرافة والتودد ومراعاة الجانب النفسي، وتفعيل جانب التفاؤل في النفوس المنكسرة، كالذي كانت تفعله العرب قديما من تحفيز الذات وتنميتها فتسمي الخادم الأسود ياقوتا وجوهرا، أو مناداة الأعمى بالبصير، أو الملدوغ بالسليم، تفاؤلا.

٢- لعلّ أوسع مجال للتلطف وإبعاد إيحاءات المحظور؛ هو توظيف عنصر الكناية عن شيء محظور بآخر بعيد، بأسلوب تعبيري مقصود يخفي المعنى المحظور. ويدخل في أسلوب الحظر بالكناية أكثر من نوع من أنواع

المحظورات، كالألفاظ الجنسية والألفاظ التي تعبر عن معان مكروهة من نحو مكان قضاء الحاجة أو بعض الملابس إلى غير ذلك. كذلك يكنى عن الألفاظ التي تثير الخوف مثل: الموت وبعض الأمراض، مثلما يحدث مع مرض (السرطان) حين يُكنى عنه بـــ(الخبيث، أو المسمى) إلى غير ذلك.

٣- إنّ الغاية من آداب التواصل، بوصفه مبحثا تداوليا؛ يتمثل في الدعوة والنصيحة إلى تقديم خطاب خالٍ من العنف، أو من أي محظور آخر، يمكن أن يتسبب بإرباك في الجانب التبليغي للخطاب، أو يمنع الإنسجام بين المتكلّم والمتلقي، أو يتسبب في تقديم خطاب مشوش غير مترابط. ولذلك أُخذ على (بول غرايس) عنايته بالجانب التبليغي على حساب الجانب التهذيبي.

٤- إنّ البحث في هذا الموضوع، يعدّ مبحثا أصيلا عند العلماء العرب القدماء، فالمجالات التي تبحث اليوم هي نفسها التي بحثت قديما، بل وكان البحث فيها عميقا وواسعا، من خلال تفصيلات ودوافع إنسانية واجتماعية ودينية تتمثل بالخطاب القرآني في هذا المجال، وأقوال وأحاديث الرسول (ص) وأهل بيته (عليهم السلام)، فضلا عن الصحابة والمصلحين...

٥- إنّ الحديث عن التأدب في التواصل، لا يعني الحديث عن حالة مثالية في هذا المجال؛ فالمحظور مهما حدث يعدّ أمرا موجودا وواقعا؛ لكنّ المراد هو التقليل من تأثير الأفعال المهددة لكرامة أو إراقة لماء وجه، باستخدام وسائل مخففة، أو حثّ المتخاطبين إلى تجاوز ما يعيق التواصل بينهم بالممكن الذي يقدم فيه خطاب واضح وخالٍ من محظورات محبطة.

٦- ليست المجتمعات سواء في تبني الآداب والأخلاق نفسها، فالقضية نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر، أو من دولة إلى أخرى، فما يسمى في مجتمع ما محظورا قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر. فهناك اختلاف، قد يكون كبيرا في مجتمعات معيّنة، فالأمر يتعلّق بنوع البيئة أو بالمرجعية الثقافية والاجتماعية والدينية والحضارية... إلى غير ذلك.

الهوامش:

(١)ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ص٤١-٤٢، واللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ص٢٩، والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، ص٣٠٣، والمرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، نصوص لمجموعة فلاسفة، ص٢٩، ومن أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، د.بهاء الدين محمد مزيد، ص٥٧-٦٧.

(٢)ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩٩/٨.

(٣)ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، د.أحمد المتوكل، ص٢١-٢٢ .

(٤)ينظر: المعنى في لغة الحوار، جيني توماس، ص١٧٥-١٧٦.

(٥)تعديل القوة الإنجازية -دراسة في التحليل التداولي للخطاب- محمد العبد، بحث، ص٣١٦.

(٦)التداولية في النحو العربي، د.فيصل مفتن كاظم، بحث، ص٣٦

(٧)ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو-ودومنيك منغنو، ص٤٢٨.

(٨)ينظر: النظرية النقدية التواصلية، حسن مصدق، ص١٦٥.

(٩)ينظر: (التلطف والمحظور في تفسير الكشاف للألفاظ الجنسية في لغة القرآن الكريم)، محمد عيد، ومحمد رحيمي خويكاني، بحث، ص٤.

(١٠)ينظر: المداراة في عامية مدينة الخارجة قراءة تداولية، د.منار علي محمد سعيد، بحث، ص١٨٩.

(١١) ينظر:علم الدلالة، د.أحمد مختار، ص٢٦٦.

(١٢)ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص٨٤-٨٥.

(١٣)ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني، بحث، د.عادل فاخوري، ص١٥٥-١٥٦.

[١٤]ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص٥٨، والاقتضاء في التداول اللساني، بحث، ص١٥٢، والقاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار وآن ريبول، ص٢٦٧.

[١٥]ينظر: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، يحيى بعيطش، بحث، ص١١٤.

[١٦]ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، ص٢٣٩.

[١٧]ينظر: التأويل الدلالي- التداولي للملفوظات، إدريس سرحان، بحث، ص١٧٥-١٧٦.

[١٨]ينظر: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص٥٨، واستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص٩٧، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، ص١١٨.

[١٩]ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤٠-٢٤١، ومعجم تحليل الخطاب، ص٤٢٨-٤٢٩.

[٢٠]ينظر:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤١.

[٢١]ينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار، ص١٢٨.

[٢٢]مبدأ التأدب في عهد الإمام علي (عليه السلام)، بحث، د.حميد عبد الحمزة الفتلي، ص١٢٢.

[٢٣]ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤٦-٢٤٧، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص١٢١، والاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص١٣٦-١٣٨.

[٢٤] انظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ص١٣٩ وما بعدها.

[٢٥]ينظر: المصدر نفسه، ص١٤٢.

[٢٦]ينظر: المصدر نفسه، ص١٤٥.

[٢٧]ينظر: مبادئ التداولية، ص١١٣و١٤٣، والسياق والنص الشعري، علي آيت أوشان، ص٧٢-٧٣.

[٢٨]ينظر: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص٦٢.

[٢٩]ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤٣، والتداولية من أوستن إلى غوفمان، ص٨٩-٩٠، والاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص١٣١-١٣٢.

[٣٠] ينظر: المداراة، بحث، ص١٩١.

[٣١] ينظر: التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات، بحث، ص١٧٦، والمداراة، بحث، ص١٩١.

[٣٢] التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات، بحث، ص١٧٦-١٧٧.

[٣٣]ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤٩.

[٣٤]ينظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، ص٢٨٣، واللسان والميزان، ص٢٤٩.

[٣٥]ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤٩-٢٥١.

[٣٦]ينظر: التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات، بحث، ص١٧٧-١٧٨.

[٣٧]علم الدّلالة : ص٢٦٥.

[٣٨]ينظر: المداراة، بحث، ص١٨٦.

[٣٩]مثالب الوزيرين، أبو حيّان التوحيدي، ص٢٥٤-٢٥٥.

[٤٠]ينظر: (التلطف والمحظور في تفسير الكشاف للألفاظ الجنسية في لغة القرآن الكريم)، بحث، ص٦.

[٤١]ينظر: في اللهجات العربية، د.إبراهيم أنيس، ص٢٠٨-٢٠٩، ودلالة الألفاظ، المؤلف نفسه، ص١٤١-١٤٣.

[٤٢]ينظر: (التلطف والمحظور في تفسير الكشاف للألفاظ الجنسية في لغة القرآن الكريم)، محمد عيد، محمد رحيمي خويكاني، بحث، ص٥.

(٤٣) (التلطف والمحظور في تفسير الكشاف للألفاظ الجنسية في لغة القرآن الكريم)، محمد عيد، محمد رحيمي خويكاني، بحث، ص٦.

(٤٤) ينظر: حكومة اللغة العربية أهي اجتماعية أم ذهنية؟، د.مازن الوعر، بحث، ص١٧٣.

(٤٥)علم الدّلالة العربي، د.فايز الداية، ص ٢٦٦ .

(٤٦)ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص٣٠-٣١.

(٤٧)الكناية والتعريض، الثعالبي، ص٢١.

(٤٨)ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٢٦٢، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٤٩)**(فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ)[البقرة ١٨٧]،(أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ)[النساء:٤٣]،(الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)[البقرة ١٨٩]،(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ)[البقرة٢٢٣]**

(٥٠)ينظر: دلالة الألفاظ ، ص١٤٢-١٤٥.

(٥١) ينظر: الصاحبي، ص٤٣٩.

(٥٢)انظر: الكناية والتعريض، حول نسبة هذا البيت، ص١٩ هامش٣.

(٥٣)الكناية والتعريض، ص١٩، وينظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ص٣٩٢-٣٩٣، والمنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي (ت٤٨٢هـ)، ص١٢ وما بعدها.

(٥٤)اللغة، فندريس، ص٢٨٠.

(٥٥)دلالة الألفاظ ، ص١٤٤.

(٥٦)ينظر: مُداراة الناس، ابن أبي الدنيا، ص٨٨.

(٥٧) مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن حميد، ص٤٩، وينظر: المداراة، بحث، ص١٨٥-١٨٦.

(٥٨) ينظر: المداراة، بحث، ص١٨٥-١٨٧، والمعنى في لغة الحوار، ص١٦١.

(٥٩) ينظر: البراغماتية المعنى في السياق، جيفري ليش، وجيني توماس، ص٢٧٧.

(٦٠) ينظر: قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء ت٢٠٧هـ، د.رحيم كريم علي الشريفي، والباحثة: زينب عادل محمود الشمري، بحث، ص٤٣١- ٤٣٢.

(٦١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ص٥٩، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص١١٢-١١٣.

(٦٢)التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات، بحث، ص١٧٧.

(٦٣)ينظر: اللغة، ص٢٧٥.

(٦٤)ينظر: اللّغة العربيّة معناها ومبناها، د.تمام حسان، ص٣٢٢ - ٣٢٣، وينظر:علم الدلالة، ص٤٠ هامش٣.

(٦٥)فقه اللّغة وخصائص العربيّة ، ص٢١٦، وعلم الدلالة، ص٢٦٥.

(٦٦)ينظر: العربيّة وفكرة اللاّمساس، د.علي زوين، بحث، ص١٨-١٩.

(٦٧)ينظر: المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ص٤٨، و معجم تحليل الخطاب، ص٢٣٥، و(التلطف والمحظور في تفسير الكشاف للألفاظ الجنسية في لغة القرآن الكريم)، بحث، ص٥.

(٦٨)مفهوم الحكمة في الدعوة، ص٣٨.

(٦٩)ميزان الحكمة، محمد الرَيشَهْري، مج٢/ص٥٢١، الحكمة رقم ٢٣٧٠

(٧٠)المصدر نفسه، مج٢/ص٥٣٠، الحكمة رقم ٢٤٢٢.

(٧١)مُداراة الناس، ص٥٠.

(٧٢)ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص٣١.

(٧٣)ينظر: في اللّهجات العربيّة، ٢٠٨ – ٢١٠.

(٧٤)ينظر: فقه اللّغة المقارن، د. إبراهيم السّامرائي، ص٢٨٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د.نادية رمضان النجار، ط١، مؤسسة حورس الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ.

أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ت٤٥٠هـ، شرح وتعليق، محمد كريم راجح، ط٤، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ٢٠٠٤م.

الاستلزام الحواري في التداول اللساني(من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها)، العياشي أدراوي، ط١، دار الأمان- الرباط، دار الاختلاف- الجزائر، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، الجزء الثامن، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

البراغماتية المعنى في السياق، جيفري ليش، وجيني توماس، ضمن الموسوعة اللغوية، تأليف: ن.ي كولتج، ترجمة: محي الدين حميدي، وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، المملكة السعودية، د.ت.

التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، ط١، دار التنوير، بيروت، ١٩٩٣م.

التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار- سوريا، ٢٠٠٧م.

التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، ود.محمد الشيباني، مراجعة: د.لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣م.

(التداوليات علم استعمال اللغة)، مجموعة دراسات لعدد من الأساتذة والباحثين، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط٢، إربد-الأردن، ٢٠١٤م.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدَّة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م.

السياق والنص الشعري(من البنية إلى القراءة)، علي آيت أوشان، ط١، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

الصاحبي، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: السيّد أحمد صقر، ط١، مكتبة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.

علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢م.

علم الدّلالة العربي (النظرية والتطبيق) ، الدكتور فايز الدّاية ، الطبعة الأُولى ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

فقه اللّغة المقارن، الدكتور إبراهيم السّامرائي، د.ط، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٦٨م.

فقه اللّغة وخصائص العربيّة ، محمد المبارك ، د.ط ، دار الفكر بيروت ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: السقا، والأبياري، وشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، مصر، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٨، القاهرة، ١٩٩٢م.

القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار، وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الباحثين، بإشراف:عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، ط٢، دار سيانترا، المركز الوطني للترجمة- تونس، ٢٠١٠م.

الكناية والتعريض، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، دراسة وشرح وتحقيق: د.عائشة حسين فريد، دار قباء، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.

اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

اللغة، ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.

اللّغة العربيّة معناها ومبناها ، الدكتور تمّام حسّان ، د.ط ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د.عباس صادق الوهاب، مراجعة: د.يوئيل عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٧م.

مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، د.ط، الدار البيضاء، ٢٠١٣.

مثالب الوزيرين (أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد)، أبو حيّان التوحيدي، تحقيق: د.إبراهيم الكيلاني، دار الفكر بدمشق، د.ط، ١٩٦١م.

مُداراة الناس، أبو بكر بن أبي الدنيا ت٢٨١هـ، تحقيق: محمد خير رمضان، ط١، دار بن حزم، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، مجموعة فلاسفة، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط٢، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠م.

مفهوم الحكمة في الدعوة، د.صالح عبد الله بن حميد، ط١، وكالة شؤون المطبوعات والنشر، السعودية – الرياض، ١٤٢٣هـ.

معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، و دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، منشورات دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.

المعنى في لغة الحوار(مدخل إلى البراجماتية – التداولية)، جيني توماس، ترجمة: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء، ط١، الرياض، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي(تبسيط التداولية)، د.بهاء الدين محمد مزيد، ط١، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.

المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي(الأصول والامتداد)، د.أحمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي (ت٤٨٢هـ)، عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م.

ميزان الحكمة، محمد الرَيشَهْري، المجلد الثاني، دار الحديث، ط١، قم، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م.

النظرية النقدية التواصلية، حسن مصدق، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: د.بكري شيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٨٥م.

البحوث المشورة:

📖الاقتضاء في التداول اللساني، د.عادل فاخوري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد(٢)، العدد(٣)، ١٩٨٩م.

📖حكومة اللغة العربية أهي اجتماعية أم ذهنية؟، د.مازن الوعر، بحث، منشور في مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، العدد٤٢، السنة٣٧، أيلول ١٩٩٨م.

📖التأويل الدلالي–التداولي للملفوظات، إدريس سرحان، دراسة منشورة ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط٢، إربد–الأردن، ٢٠١٤م.

📖التداولية في النحو العربي، بحث، د.فيصل مفتن كاظم، مجلة(أبحاث ميسان)، المجلد٢، العدد٤، ٢٠٠٦م.

📖تعديل القوة الإنجازية –دراسة في التحليل التداولي للخطاب– محمد العبد، بحث، منشورة ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، تنسيق وتقديم:حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط٢، إربد–الأردن، ٢٠١٤م.

📖(التلطف والمحظور في تفسير الكشاف للألفاظ الجنسية في لغة القرآن الكريم)، محمد عيد، محمد رحيمي خويكاني، بحث، منشور في مجلة(بحوث في اللغة العربية)العدد١٣، ١٤٣٦هـ–١٤٣٧هـ، جامعة أصفهان، إيران.

📖العربيّة وفكرة اللاّمساس(بحث)، د.علي زوين، مجلة المورد، المجلد(٣٦)، العدد(٣)، ٢٠٠٩ م، ١٨–١٩.

📖الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، يحيى بعيطيش، بحث، منشورة ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط٢، إربد–الأردن، ٢٠١٤م.

📖 قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء ت٢٠٧هـ، بحث، د.رحيم كريم الشريفي، الباحثة: زينب عادل محمود الشمري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد٣٢، نيسان، ٢٠١٧.

📖مبدأ التأدب في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رض) قراءة تداولية، بحث، أ.د. حميد عبد الحمزة الفتلي، بحث منشور في مجلة المبين، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، السنة الثانية، العدد الرابع، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م.

📖المداراة في عامية مدينة الخارجة قراءة تداولية، د. منار علي محمد سعيد، بحث منشور في مجلة (البحث العلمي في الآداب – اللغات وآدابها)، كلية الآداب – جامعة الوادي الجديدة، مصر، العدد٧، ٢٠٢٠م.